

# المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخامس والستين

١ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٤ - الموافق ٤ جماد الاول سنة ١٣٤٣

## اناتول فرانس

[ نعرف فتاة سورية تحسن الفرنسية والانكليزية طالمتا اكثر ما كتبه اناتول فرانس وما قاله فيه مريدوه ومنتقدوه مدحاً وذكماً فاترحنا عليها ان تكتب مقالة عنه المقتطف فكتبتها بالانكليزية وترجمناها كما يلي ]

توفي اناتول فرانس نائبة من اعظم نوابغ فرنسا في الانشاء

الذين يحسنون الفرنسية من غير ابحاثها برون فيه مثالا لا يبع ما امتازت به تلك اللغة واسلمه ومن المحتمل انه لم يقم منشى منذ اربعين سنة الى الآن نقي من الاعجاب به والاهتمام بامره اكثر مما نقي اناتول فرانس . وهذا الاعجاب وهذا الاهتمام غير محصورين في فرنسا بل اشترك فيها سائر البلدان

الكتاب الذين عظم الخلاف في امرهم الى الدرجة القصوى كما عظم في امره قلال جداً وكذا الذين احبهم الناس والذين اقبضوهم

احترمه البعض احتراماً فائقاً حتى كادوا يبدونه لاتهم حسبوه ابلغ منشى في اللغة الفرنسية في العصر الحاضر . قال جول لامتر Jules Lemaitre المنتقد الشهير « ان انشاء هذا الرجل عين الكمال في حسن الديباجة و غاية ما وصل اليه التبوع اللاتيني » . لكن من الكتاب من انتقصه حساباً اياه مفسداً لاخلاق الشبان وانه من اساتذة الفوضى الذين قاموا في فرنسا بعد رينان واكثروا تضليلاً

الاعجاب بالانشائه عام لسلاسته وانسجامه وما فيه من الظرف والتنوع والدقة الصفات التي تأخذ بجماع القلوب الا ان كثيرين من المنتقدين لا يحبون عبارته بلغة دائماً ما يجب ان تبلغه من الصحة والمتانة

اناتول فرانس او بالاولى (اناتول تيو) لان هذا اسم امرته الحقيقي - ولد في باريس سنة ١٨٤٤ وابوه كيمي له مشاركة في نظم الشعر وكتابة التاريخ وهو من بوكاج فاندان وامه من بروج في البلجيك . ومن يستطيع ان يحكمكم بعزى الى والديه من تفوقه في فنون الادب

التي الذي صار منشئاً لبلطشاصر تلقى دروسه الاولى في مدرسة ستانلاس فلم تبد عليه مخايل التعجابه حينئذ واكبر جائزة ناهيا كانت الثانية في الانشاء. لكنه كان كثير المطالعة مفرماً بقراءة ليشيوس وهوميروس واوربيدس

ربته امه زرية دينية وذات يوم طرح لبعه من كوة غرفته لكي ينقطع عن الدنيا ويصير قديساً لكنه لم يلبث ان صار من اهل الشكوك في الامور الدينية ولا بد من انه تدرج الى ذلك تدرجاً لان حبه للطبيعة قام حاجزاً حصيناً بينه وبين عيشة التفكشش وجعله عدواً للفرائض والقوانين الدينية وادرجه في صف ديدرو ووقولتر الذين كان يعجبهما فسهل على الآراء التي انتشرت في فرنسا في القرن الثامن عشر ان تملك منه . ثم صار من مريدي رينان وتابن وبروتير ولسكوت دليل ونسج على منوالهم

شرع باكرآ في الانشاء فكتب سلاسل من المقالات للصحف ونشر كتابه الاول سنة ١٨٦٨ جاءلاً موضوعاً الفرده فيني وهو لا بالبلغ ولا بالسخيف لكن كتابه الثاني احلته درجة عليا بين ارباب البيان وهو ديوان شعر نشره سنة ١٨٧٣ وسماه الاشعار الذهبية Les Poèmes Dorés واهداه الى لسكوت دليل وهو مستمد من انفسه بنوع خاص

ونشر سنة ١٨٧٦ ابلغ ما جادت به قريحته شعراً وسماه العرس الكورنثي Noces Corinthiennes وهو من نوع الدراما ( الشعر الروائي ) ووقف عند هذا الحد من التظم حسب الظاهر . قال جيرو V. Giraud ان اناتول فرانس ترك الشعر لانه حبه ناكهة لا تشبع من جوع

ثم كتب مقدمات لبعض الكتب القديمة القيمة جاءت بدعة رشيقة اللفظ والمعنى

وسنة ١٨٧٩ نشر اول رواية من رواياته واسمها جوكاست Jocaste

وسنة ١٨٨١ ظهر كتابه جنابة سلفتر بونار. ويقول البعض انه ابلغ ما كتب فحلته الاكاديمية الفرنسية المحل الاول . وهو قصة بل فستان تدور ان حول

شخص واحد اسمه سلفستر بونار فيلسوف من اعضاء اكااديمية التدوين كان عربياً غريب الاطوار شديد الذكاء كبير التهكم يطيل الالتقاء في كل المواضيع بكلام رقيق منسجم غاية في الدقة والظرف واللين كانه اناتول فرانس نفسه كما ودد ان يكون بعد ثلاثين سنة او كما كان قد صار فعلاً

وتلاه كتابان ضمنهما ذكريات صباه. الاول النحلة Abeille وهو قصة خيالية فتاة والثاني كتاب صديقي Livre de mon Ami وهو من القصص التي تأخذ بمجامع القلوب بلها وسلاستها

كان اناتول فرانس من امهر الكتاب في وصف نفسه وما اتقى في زمانه ولذلك نجد في تلك التذكارات فكاهة فتاة

وله اربعة مجلدات سماها الحياة الانشائية Vie Littéraire جمع فيها اكثر مقالاته الانتقادية التي نشرها في صحيفة الطان. الا انه كان كثير الغرض شديد التأثير. وهاتان الحلتان لا يصح ان يتصف بهما منتقد يعتمد على انتقاده لاسمها وانما كان متطرفاً يسير مع الخيال كيفما سار وبهم بنفسه اكثر مما بهم عن ينتقده او بما ينتقده. لكنته فاق غيره في وصف الشعراء والمنتشئين بعبارة وحيزة محكمة مدحاً او ذمماً كأنها فصل الخطاب ولذلك ترى في هذا الكتاب كثيراً من الاحكام الصائبة والنكات البديعة كقوله في نقد كتاب زولا « الارض » (La Terre) انه « روضة الخبز الممتك » Les Géorgiques de la Grapule. وقال بعبارة ذلك ان لا احرم زولا مجده الحقيق لانه ما من احد قبله استطاع ان يرقى بالاقدار هذا المرقى فليكن ذلك تذكراً مجيداً له لا ينازعه فيه احد. وكقوله في فكتور « وشو انه عاش في الضوضاء والبراقش فاسكر الناس بها

وكتبه بلطناصر وصدق التؤلؤ وسور سان كلر — مجلدات ثلاثة فيها قصص قصيرة بعضها تاريخي وبعضها خيالي وهي على درجات من حسن الانشاء بين الفث والسمن لكنها تحوي صفحات فيها من البلاغة ما لو لم ينشئ سواه لكنني لمخيلد اسمه

وسنة ١٨٩٠ نشر كتاب تاييس وهو قصة فلسفية عن بداءة الديانة المسيحية حسنة الانشاء جداً لكنها كثيرة المنازى والكتابات اراؤها الفلسفية اترب الى الضعف والغموض منها الى الثانية والجللاء تشرح كيف اعتنقت امرأة اسمها تاييس

الديانة المسيحية بارشاد راهب اسمه بفضوس وما اصابه من البأساء لتير سبب ظاهر سوى ابعاده اياها عن ملذات الحياة وحرمانه نفسه منها . كأن اناتول فرانس لا يرى غير التشديد بمن اهتمامه بنفسه اكثر من اهتمامه بمجسده .

وكتابة مطعم الملكة بدوك Rôtisserie de la Reine Pedanque من اتي كتبه ان لم يكن من اكثرها ابتكاراً مداره على كاهن اسمه جيروم كوانيارد دكتور في اللاهوت واستاذ في الفنون يتولى عمل كاهن احياناً ويسكر غالباً ويحب الاكل والمجون تراه يوماً يبيعاً ويوماً طوّافاً ويوماً ممثلاً او راهباً وبعد ما تقلت عليه شؤون شتى قتله احد اليهود . وهو بطلاقة لسانه وكثرة كتاباته واستعاراته من الذين يبالغ اناتول فرانس في تمثيلهم للقارىء .

وهذا الكتاب وكتابة المسمى آراء جيروم كوانيارد Opinions de M. Jérôme Coignard مشحونان بالآراء الغائلة الضارة لاسمها وانه بسطها بعبارة بليغة وضائعة وكتابات لطيفة خلاصة في الآداب والديانة والفلسفة ترمي الى اطلاق العنان للشهوات وتحرير العقول والفرائر من كل قيد ونظام

وكتابة المطعم او دكان الطباخ Rôtisserie مثل لذهن القارىء مدينة باريس كما كانت في القرن الثامن عشر . وقصة الزنقة الحمراء (Lys Rouge) وقائمتها في فلورنسا ومن الاشخاص الداخلين فيها شاعر يمثل فولتر . والرواية سقيفة والاشخاص الذين تدور عليهم خياليون فاسدو البيرة والسريرة اراد ان يثبت بهم ان عصرنا هذا مع كل ما نراه فيه من التقدم العقلي والادبي والاجتماعي لا يزال الشأن الأكبر فيه للماديات فلم تتقدم عن اسلافنا الاقدمين المتوحشين . ولكن انشاء الرواية في الطبقة الاولى من البلاغة وحسن البيان ترتاح النفس الى ما فيها من الوصف لانها تراه حقيقياً يصل الى اعماقها . ولعلها ابلغ رواية وافكك روايه كتبت باللغة الفرنسية في هذا العصر

وروايته بستان ابيقورس Jardin d' Epicure جنة فيها من كل فاكهة زوجان افاصيص ونكت وآراء وحكم وشروح على كل موضوع ومطلب بعضها مسهب وبعضها موجز وكلاهما يدل على حالة المؤلف النفسية كصاب بالسوداء مشكك امين ولكنه لا يعنى بالاملة الدينية كما لا يعنى بالفلسفية

وكتابة التاريخ المصري Histoire Contemporaine في اربعة مجلدات

مختلفة الاسماء وأزمان النشر ليس تاريخاً لحوادث العصر بل هو وصف للعادات الشائعة في ولايات فرنسا بقلم رجل بباريسي ماهر في الملاحظة والاستهزاء بعضه متصل وبعضه متقطع وكثير منه حسن يسلي القارىء ويصدق على بعض المشاهير في العصر الحاضر

وبلى ذلك سبع روايات نشرت بين سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٩ وهي متفاوتة حسناً ترمي الى اغراض سياسية وفيها سهام موجهة الى الدين والفلسفة. والثانية منها واسمها Grainquebille ممتاز بحسن انبجائها لكنها تحمل قارئها على الاعتقاد ان ليس في احوال العالم الاجتماعية شيء من العدل او الانصاف وان العاقل من رحب بالفوضى وقلب ظهر الحزن تكمل نظام

وسنة ١٨٩٩ نشر Pierre Nozière وهو مجموعة من التذكارات وتلاه التاريخ الهزلي Histoire Comique سنة ١٩٠٣ وهو سلى خفيف الروح كثير الفكاهة ولكنه قليل الفائدة

وحزيرة البنغوين ١٩٠٨ L'île des Pingouins تاريخ هزلي مسهب لفرنسا لكن هزله أصبح هنا هزلاً مرّاً تنفر منه الطباع

وفي كتابه «الالهة عطاشى» ١٩١٢ Les Dieux ont Soif فصول مستحبة وفيها كثير من الذكاء وقليل من الآراء الصائبة. وفيه ان فرانس لم تفهم ما في الثورة ألفرنسوية من العظمة والشان الكبير كعادة تاريخية

وحياة جان دارك ١٩٠٨ Vie de Jeanne d'Arc تحط بتلك القديسة من علو عرشها وتجعلها فتاة عادية فعلت ما فعلت مستهواة باحد الرهبان ومدفوعة بحزب سياسي. والكتاب كثير المتناقضات والاعطال. ثم ان محزب المؤلف على جان دارك اشد من ان يجعله مؤرخاً منصفاً

وثورة الملائكة La Révolte des Anges قصة فلسفية جرى فيها مجرى فولتر وهي خليط من آراء بعض المشاهير مثل ملتن في «الفردوس المفقود» وشاتوبريان في «الشهداء» ولامرتين في «سقوط ملاك» وشي من ريشان وشي من فولتر وديندرو وآراء بعض علماء اللاهوت. والكتاب في جلته خيال وهزل وتهكم وقد كُتبت بلغة ناصعة البيان بديمة الديباجة وهو بهزاً فيه بالخالق والمخلوق

والحياة مزهرة *La Vie en Fleur* آخر ما جاد به قلمه وقد عبس بها عما فعله في صباهُ تعبير من يستحسن عمله ويسر به وذلك على أسلوب جامع بين الفكاهة والظرف والتسلية يستحسنه القارئ فيشارك صاحبه في سروره. وقد بالغ في بعض المواضع معتدراً بقوله أنه إن كانت الناس محتاجين إلى الحلق المحض فهم إلى غير الحلق أحوج لأن هذا يشملهم ويسرهم ويقوي آمالهم وإذا فقدوه قضى عليهم اليأس وطوّحت بهم الآمة

يظهر من هذا البيان الموجز ما في مؤلفات اناتول فرانس من التبان الكثير خيال وسياسة وفلسفة وشعر وتاريخ وانتقاد وادب ورواية. كل هذه المواضع طرقتها فبرّز فيها وجاء بالقرىب المدهش ومع كل ما تفوّق به لم يخترع شيئاً جديداً ولا استطاع أن يقول عن كتاب من كتبه أنه أفضل ما كتب في موضوعه إذا قرأنا كتبه مبتدئين بالاول منها وجدنا آراءه واطواره تغيرت تغيراً عظيماً على توالي السنين فنستغرب كيف أن مصنف « جناية سلفتر بونار » صنف « جزيرة البضون » . وكيف أن المشكك المفكر المزاج صار سياسياً ينصر حزباً من الأحزاب وينهاك في نصرته بل فوضويًا جسوراً . لكنه لم يتغير فعلاً كما هو ظاهر نعم أن مصنفاته مختلفة وتكثر فيها المتناقضات ولكن مبادئه الاساسية واحدة لم تتغير فانه كان يكره كل ما يقال أنه ديني أو فوق الطبيعة . اشار الى ذلك في مصنفاته الاولى اشارات غير واضحة متعملاً الكتابة والتورية والمزاج ثم جعل يفصح عن آرائه رويداً رويداً مع تقدمه في السن وتقلب الاحوال واستعداد القراء لقبول ما يقول

قال واحد من كبار الكتاب الفرنسيين « أني اعجب ان كانت عداوته للدين لم تتولد من مزاج فيه دقة الى وضع رواية تاييس فقد قال مونتانيه *Montaigne* وهو يمدح الشهوة « ليقولوا ما شاؤوا فاننا نرمي الى ارضاء شهواتنا حتى فيما نمدّه نضية . هذه الكلمة التي يكرهونها كل الكره اصك اذانيهم » . ألم يكن ذلك شعار اناتول فرانس فان الشهوة كانت متسلطة عليه ومنها تولد كرهه للاديان بنوع عام ومنها نشأ ينضه للزهد ومقاومة الاميال لان الزهد ضمن المركب يتطلب قمع النفس . ومنها ظهر تعلقه بالقرن الثامن عشر الذي أطلق فيه العنان للشهوات فكسرت القيود القديمة التي تفيد الطباع . ومنها نشأ حب التمتع الذي نادى به لان الشهواني

يستطيع ان يتمتع بكل شيء اذا فعل ذلك سرّاً . وهذا سبب ميله الى الفوضى لان قوانين الاجتماع تقف حاجزاً حصيناً في سبيل الشهوات . وسبب ميله الى الاشتراكية لانه كان رقيق الطبع بود ان يشترك الناس كلهم في ولية الحياة . واخيراً نتج من الشهوة ما نراه في مؤلفاته من الغيظ والقنوط لانه عجز عن نيل مشتهياته مثل كل الايكوريين الكبار ورأى ظل الموت يمازج افراسه كلها . ومنها اعتياده المستمر على التهمك « لانه روضة العقل ومسرة الحكمة » ولكنه قلما يتغلب على اميال الناس وان اعجبوا به احياناً

لقد نقض اناتول فرانس اسمى ما يتوخاه الانسان وبجملته ويقدهسه ولم يعطره الناس شيئاً بدلاً منه . ورغماً عن المناحي الكثيرة التي ظهر فيها وهي ليست بالثمة من الجمل والانافة والتشرف ما تمناه لها . ورغماً عن الظلال الكثيرة المبسوطة على تلك القرىحة الوقادة يبقى اناتول فرانس معشوقاً لكل الذين يحبون الجمال وذلك لان فيها خطه قلبه سحرأ بسبي العقول ولولم يبت فيها نشاطاً يسري منها الى غيرها . واسلوبه العجيب في الانشاء — لان له اسلوباً خاصاً يتفق مع الاشخاص الذين كتب عنهم والمصور التي كتب عنها — لم يضارعه فيها احد — فهو خاص به الكثرة يتنوع في حفته وسلاسته وبلاغته في الوصف وتفوقه في الشعور . ودكاؤه وتمسقه ومهارته الفنية — لانه من كبار رجال الفن ومن اذقهم صناعة قلبية — تدل على انه كان واسع الاطلاع كثير التفكير . ومما يزيد مردييه حباً له وتعلقاً به رقة الشعور البادية في بعض كتبه ولاسيما « كتاب صديقي » Le Livre de mon Ami وكتاب جنابة سلفستر بونار اللذين قال فيها حول لامر انه لم يكن يستطيع ان يقرأ الصفحات الاخيرة منها الا ويجد نفسه مدفوعاً الى البكاء

وقد يفقد كثير من كتبه في الاجيال المقبلة بعض ما له من الميزة في النورس ولكن كتاب « جنابة سلفستر بونار » يبقى مفتوحاً الى ابد المصور التالية لما نبع من التهمك الجليل والعلم الواسع من غير غرور والرفقة البسامة والقرام بكل ما هو سام وجليل في الانسان وفي الطبيعة

هنا وقد اعطي اناتول فرانس جائزة نوبل للانشاء ولكنه لم يعطها الا